عبق الرياحين

في مواطن الشدة واللين

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد حسونة

رحمه الله تعالى ورفع قدره

هذا الكتاب غير مطبوع !

قال العلامة شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«وجزىٰ الله من أعان علىٰ الإسلام ولو بشطر كلمة خيرًا»

"أعلام الموقعين..." (4 / 216ـ217).

كلمات هادئات هاديات

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«**هذا العصرُ: عصرُ الرِّفق والصَّبر والحِكمة، وليس عصر الشدّة؛ النّاسُ أكثرُهم في جهلٍ، في غفلةٍ وإيثارٍ للدنيا، فلا بدّ من الصبر، ولا بدّ من الرفق؛ حتىٰ تصل الدعوة، وحتىٰ يبلغ الناس، وحتىٰ يعلموا. ونسأل الله للجميع الهداية**»(1).

ورحم الله العلامة الألباني الذي أوصىٰ قبل وفاته بقوله :

«**علينا أن نترفق في دعوتنا مع المخالفين**، وأن تكون من قوله تبارك وتعالىٰ دائما و أبداً: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:125].

وأول من يستحق أن نستعمل معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدأنا و في عقيدتنا؛ حتىٰ لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله عَزَّوَجَلَّ بها علينا، و بين ثقل أسلوب الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ » (2).

---

(1) «مجموع فتاوىٰ سماحته» (8/ 376) و (10/ 91).

(2) موقع الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح:29].

المقدمة، وفيها السبب الداعي إلى التدوين

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب]

أما بعد: فقد خلق الله تعالىٰ الخلق لعبادته؛ برهان ذلك: قوله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ولتحقيق هذه العبادة علىٰ الوجه المرضي، كانت الحاجة إلىٰ العلم الشرعي.

والعلم -كما هو مقرّر- أفضلُ ما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ المتقربون، إذ بالعلم يتحقق التوحيد، وتصحّ العبادات، وتسمو أخلاق الناس، وتسعد تعاملاتهم.

ونظراً لتكالب شياطين الإنس والجن علىٰ العباد؛ إضلالا وإهلاكًا؛ محبة للفساد والإفساد(1) قامت حروبٌ بين الحق والباطل، بين السنة والبدعة، بين الفضيلة والرذيلة، ظفر فيها الحق بِحق.

(1) وفي ذكر الفساد، والردّ علىٰ أهل الغلو والإفساد، قال شيخ الإسلام رحمه الله : «ومما ينبغي أن يُعلم: أن الله تعالىٰ بعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون الناس علىٰ غاية ما يمكن من الصلاح، لا رفع الفساد بالكلية؛ فإن هذا ممتنع في الطبيعة الإنسانية، إذ لا بد فيها من فساد ولهذا قال الله تعالىٰ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]؛ ولهذا لم تكن أمة من الأمم إلا وفيها شر وفساد، وأمثل الأمم قبلنا بنو إسرائيل، وكان فيهم من الفساد والشر ما قد عُلم بعضه.

وأمتنا خير الأمم وأكرمها علىٰ الله، وخيرها القرون الثلاثة وأفضلهم الصحابة، وفي أمتنا شرٌّ كثير، لكنه أقل من شر بني إسرائيل، وشر بني إسرائيل أقل من شر الكفار الذين لم يتبعوا نبيًا كفرعون وقومه، وكل خير في بني إسرائيل ففي أمتنا خير منه، وكذلك أول هذه الأمة وآخرها، فكل خير في المتأخرين ففي المتقدمين ما هو خير منه، وكل شر في المتقدمين ففي المتأخرين ما هو شر منه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:16]...» أهـ"مختصر منهاج السنة"لشيخ الإسلام، اختصره الشيخ الغنيمان (2/ 484-483).

وقد تقرر وتكرر أن: أشرف ساحات الجهاد وأسماها وأسمقها: جهاد العلم[1] إذ هو ميدان الأبرار الأخيار، وساحة جهاد الأطهار الأحبار، إنه مقامٌ سامٍ قامَ له وبه الخُلَّص من أهل الإخلاص، للخَلاص.

ولكونهم عالِمين؛ وجدناهم للخلق راحمين[2]، وعليهم مشفقين؛ إذ نفروا مثنىٰ وفُرادىٰ، رجالا وركبانا، حِلاً وترحالاً، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، داعين للدين[3]، مرغبين مرهبين، قاموا بواجب النصح احتسابـًا، تواصوا به وصبروا عليه قربانا.

(1) قال العلامة شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتبليغ سنته ﷺ إلىٰ الأمة أفضل من تبليغ السهام إلىٰ نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن، فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالىٰ منهم بمنه وكرمه» "جلاء الأفهام" ص(582).

(2) **برهان ذلك**: سئل محدث الديار اليمنية الميمونة الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هل يجوز أن نكفر جماعة التكفير؟» فأجاب: «لا، لا نكفرهم، وإن كان النبي ﷺ يقول: «من قال لأخيه: يا كافر، فإن كان كما قال، وإلا رجع عليه» فلا نكفرهم، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في الخوارج: من الكفر فروا، فنحن نعتبرهم مبتدعة ضالين، أضل من حمر أهلهم» «فضائح ونصائح» ص (184)

قلت: يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ محمول علىٰ التغليظ والتنفير من التراشق بالتكفير، والترامي بالشرك، والطعون بالردة، وبيانُ أن إثمَ التكفير يعود علىٰ قائله إن كان من غير أهله لغير أهله، ووفقَ شرطه، لمَ استقر في الشريعة الغرّاء من كون التكفير حق لله تَعَالَىٰ .

وعليه.. لا يجوز أن نُكفر من يُكفرُنا، أو نَخُون من خاننا؛ لحق الله تَعَالَىٰ ، هذا.. مع اعتبار ضوابط أهل العلم في الباب حال إنزال الأحكام؛ من التفريق بين الإطلاق والتعيين، ومراعاة ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حق المُعَيَّنين، وهذه وغيرها معلومة عند أهل العلم، وعلىٰ الصِغار الصَغار.

(3) وأقول: «**داعين للدين**» لا لأنفسهم، ولا حزبهم، ولا جماعتهم، لا إلياس ولا بنا ولا قطب، ولا طرق خرافية، ولا فجور رافضي.

ترفقوا ولانوا، حلموا وداروا، وما هانوا. وفي المقابل: **حذّروا وشدّدوا، عنّفوا ونفّروا، وما حادوا.**

فجمعوا بين الخيرين؛ ففلحوا وربحوا، وفازوا وحاذوا، وفيهم والتابعِ لهم بإحسان قال الرحمن ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾[الفتح:29].

نعم.. إن الكمال في البيان والتوجيه، والتمام في التربية والتهذيب، والحادي لبلوغ الصلاح والفلاح في اجتماع الخيرين والجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب؛ لإصلاح العباد، ومن ثم البلاد.

إنه الأسلوب الرباني الذي ربّانا به رب العباد -تبارك وتعالىٰ- وهو أعلم سبحانه بما خلق، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك]، تجد ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر] وأخواتها.

ومن ذلك: استقىٰ أهلُ العلم، أربابُ المعرفة، عشاقُ النصح، محبي التناصح: هذا الخلق الرباني وتضلعوه، فاستصحبوه وأنزلوه أروعَ ما يكون بيانا، وأحسنَ وأجملَ ما كان حالٌ وبلغ مآل، فطوبىٰ لهم وحسنُ مآب.

مثال ذلك: ما رواه الإمام أحمد وابنه عبد الله والطيالسي والترمذي وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من طرق عن أبي غالب -صاحب أبي أمامة- قال: لما أُتِي

برؤوس الأزارقة فنُصبت علىٰ درج دمشق، جاء أبو أمامة فلما رآهم **دمعت عيناه**، فقال: كلاب النار -ثلاث مرات- هؤلاء شر قتلىٰ قُتِلوا تحت أديم السماء، وخير قتلىٰ قُتِلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء.

قال: فقلت: فما شأنكَ دمعت عيناك ؟.

قال: **رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام.**

قال: قلنا: أبرأيك قلت هؤلاء كلاب النار؟ أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟.

قال: إني لجرئ، بل سمعته من رسول الله غير مرة ولا ثنتين ولا ثلاث.
قال: فعد مراراً.

أقول: إن هذا الأصل – أعني تأويلَ الرفقِ والشدةِ كلٌّ في موطنه- فرعٌ عن بابِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بابِ النصيحة، بابِ الرعاية والمسؤولية، سواءٌ كان تعلقه الفرد أو الجماعة.

إذاً هو أمرٌ تعبدي، وإذا كان كذلك -وهو كذلك- يراعىٰ فيه شرطُه: الإخلاصُ والمتابعة، كما يراعىٰ فيه الحالُ والمآل، وأيضًا يجب أن يكون من أهله[1] لأهله.

(1) قال الشيخ سليم الهلالي وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : «ونترك المجال لعدول الأمة ورثة الأنبياء ليقولوا كلمة التقوىٰ فهم أحق بها وأهلها» «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة" ص(488).

هذا الأصل: مرامُه الصلاحُ والاستِصلاح، لذا هو –والحالة هذه– بابٌ عظيم خطير، غيرَ أنه لدِقته مردُّه لأهله، إذ يحتاج إلىٰ معرفةٍ بالحال وبصيرةٍ بالمآل، مع احترازٍ في حال الإنكار من البغي والطغيان في الفعل أو المقال.

وقد قرروا: أنه عند تزاحم الشدة واللين، يقدم باب اللين؛ وعللوا ذلك بكونه الأصل، فكم هو عظيمٌ هذا الدين!

وأكّدوا علىٰ أنه لا ينبغي أن يكون اللين أوالشدة، كذا الوفاق أوالفراق، مردّه إلىٰ الناحية البهيمية (الشهوات).

هذا.. مع اعتبارات أخرىٰ تجدها ماثلة أمامك مُدلَّلة متدللة، متزينة بالآثار، متجملة بصحيح الأخبار، متوّجة بوقائع تكون لك برهان، والله تعالىٰ الهادي، وهو سبحانه الموفِق إلىٰ سواء السبيل، وأقومِ قيل.

❀ ❀ ❀

.. الموضوع ..

اعلم –رحمنا الله تعالىٰ و إياك– أن: **الأصل في الدَّعوة إلى الله تعالى: اللين والرفق، لا الشدة والعنف.**

أقول: نعم.. الأصل في باب النصيحة، وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اللين لا الشدة، والرفق لا العنف.

دليل ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]. وقوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

وبيّن رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **أن الرفقَ زينة لأهله**، والجمال -كثمرة من ثمرات الرفق- صفةٌ اتصف بها بارينا عَزَّ وَجَلَّ علىٰ الكمال والتمام، وهو كذلك محبوب مرغوب من المليح بل والقبيح، وذلك في قوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» (1).

لذا تزيّنَ بالرفق المؤمنون؛ قال صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبرزاً بعض صفات المؤمنين رَفَعَ اللهُ تَعَالَى أَقْدَارَهُمْ: «المؤمنون هينون لينون، كالجمل الأنف: إن قُيِّد انقاد،

(1) رواه الإمام مسلم (2594).

وإذا أُنِيخ علىٰ صخرة استناخ»[1].

ورتَّب على اللين والرفق الأجر العظيم والثواب الجزيل، وذلك في قوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا علىٰ كل هَين ليّن قريب سهل»[2].

وحضّ على الرفق بصورة عظيمة مَهيبة جليلة، إذ أخبر بأن الرفق صفة اتصف بها بارينا عَزَّ وَجَلَّ تحبيبًا للنفوس للتخلق به؛ وذلك في قوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه مالا يعطي علىٰ العنف»[3].

ومثلها إخباره صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تعالىٰ يحب الرفق في الأمر كله»[4].

وأوصى صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **بالرفق حِبَّه عائش**، الطاهرة المبرأة، الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «...قال لي يا عائشة: ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه»[5].

---

(1) «صحيح الجامع» للعلامة الألباني برقم(6669)، وانظره كذلك في: «السلسلة الصحيحة» (2/ 609) برقم(936).

(2) «صحيح الجامع» برقم(2609).

(3) «صحيح سنن أبي داود» (2/ 254) برقم(4807).

(4) «صحيح الجامع» برقم(1881).

(5) «صحيح سنن أبي داود» برقم(2478).

بل وفي رواية قرن في وصيته لحبيبته الرفق بالتقوى، والتقوىٰ شأنها عظيم عظيم، فعلمنا عظم أمر الرفق، قال صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يا عائشة عليك بتقوىٰ الله والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه»(1).

وبيّن عظيم خسارة وبالغ حرمان منزوع الرفق فاقد اللين، في قوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»(2).

وقوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من أعطِي حظه من الرفق فقد أعطِي حظه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير»(3).

ووعد ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **ووعده كريم حاصل -ولا بدّ- بعون أهل الرفق**، فصاحبه معان من القوي القهار، وفعله مرضي، وفي ذلك – العون- إيماءة إلىٰ النصرة والظفر ونيل المرغوب والسلامة من مرهوب. وفي الرضا: القبول والإثابة. قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين علىٰ العنف**؛ فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فنزلوها منازلها فإن أجدبت الأرض فانجوا عليها فإن الأرض تطوىٰ بالليل ما لا تطوىٰ بالنهار وإياكم والتعريس بالطريق فإنه طريق الدواب ومأوىٰ الحيات»(4).

---

(1) «صحيح الجامع» للعلامة الألباني برقم(7927) .

(2) «صحيح سنن أبي داود» برقم(4/ 255) برقم(4809).

(3) «صحيح الجامع» برقم(6055) .

(4) «صحيح الجامع» برقم(1770) .

فإذا كان الشارع الرحيم، قد أمر بالرفق بالحيوان البهيم، فكيف بالمؤمنين الصالحين، الذي قادهم تأويل أو حب للخير إلىٰ غير السبيل ؟

فكان الواجب نصحهم لردّهم، فإذا كان المقام يستدعي الشدة، والباطل لا يزول والمنكر لا يغيّر إلا بنوع من الخشونة بحسبه؛ فلا بأس منه، مع استصحاب الاحتساب، ودوامة الدعاء، وعدم الطغيان.

ولا يعني استعمال بعض الشدة مع البعض: بُغْضُه، إنما هو كما قال الأول:

فقسا لتزدجروا ومنْ يكُ حازمًا فَلْيَقْسُ أحيانًا وحينًا يَرْحَمُ

نعم.. هو امتثال للأمر؛ وفي الامتثال الخير كل الخير، هو تقديم محاب الله تعالىٰ علىٰ محاب ما سواه، هو نوع إحسان علىٰ المخالف، بغية إصلاحه -هو- ومن ثم إصلاحه -لغيره-، ومحبة شيوع الخير في ربوعه وذيوعه في ضلوعه، وإيصال النفع إليه، والحرص علىٰ سريان الهداية فيه، فالسلامة.

وفيما تقدم يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن ما يجري من نوع تغليظ، أو تخشين علىٰ بعض الأصحاب والإخوان، ما كان يجري بدمشق، ومما جرىٰ الآن بمصر، **فليس ذلك غضاضة ولا نقصًا في حق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا، ولا بغض**. بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين، أرفع قدراً، وأنبه ذكراً، وأحب وأعظم.

وإنما هذه الأمور هي من صالح المؤمنين، التي يصلح الله بها بعضهم

ببعض، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين، تغسل إحدهما الأخرىٰ، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة؛ لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة، ما نحمد معه ذلك التخشين»[1].

وقال الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان «الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتّاب»: «ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو في الدين، **وأمرت بالدعوة إلىٰ سبيل الحق والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن**[2] **ولكنها لم تهمل جانب الغلظة والشدة في محلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي أحسن،** كما قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:73] ... أما إذا لم ينفع واستمر صاحب الظلم أو الكفر أو الفسق في عمله ولم يبال بالواعظ والناصح، **فإن الواجب الأخذ علىٰ يديه، ومعاملته بالشدة،** وإجراء ما يستحقه من إقامة حدّ أو تعزير، أو تهديد أو توبيخ، حتىٰ يقف عند حدّه، وينزجر عن باطله»[3].

(1) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (28/ 53).

(2) **ومن الصور الرائعة الرائقة في الباب، والتي حفظها لنا بكل فخر وإعزاز تأريخنا المجيد التليد:** عن يونس بن عبد الأعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذ الإمام الشافعي، قال: «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذات يوم: يا يونس، إذا بلّغت عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادر بالعداوة، وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه، وقل له، بلغني عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمي المبلغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا تزيدن علىٰ ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له وجهًا، بعذر فاقبل منه» «الحلية»(9/ 122).

(3) «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للشيخ عبد العزيز بن باز (3/ 203-202).

أجل.. «ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ أباح القتال لذلك، وليس فوق القتال خشونة، فقال سبحانه ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات].

وقد يشتد المؤمن في إنكاره علىٰ أخيه **أكثر منه من عدوه**، ألم تر كيف لان كليم الله موسىٰ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَإِخْوَانِهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع فرعون، واشتد علىٰ أخيه هارون ﷺ حتىٰ كان منه ما قصّه القرآن بقوله ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف:150].

فهل لأحد أن يحتج عليه بالولاء والبراء متهمـًا له بأنه يبسط لسانه ويده علىٰ أخيه ويلطف بالطواغيت؟!!!

بل وربما كان النبي ﷺ **يعنف العلماء من الصحابة إذا أخطأوا أكثر من غيرهم**، وخذ علىٰ سبيل المثال:

قوله ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أطال الصلاة بالناس: «**أفتان أنت يا معاذ**»(1)، **ويقابله تلطفه بالأعرابي الذي بال في المسجد**(2).

(1) رواه البخاري (6106) ومسلم (465).

(2) كما في صحيح البخاري (220).

وقال ﷺ لحبِّه أسامة رضي الله عنه حين قتل في المعركة مشركًا بعد نطقه بكلمة التوحيد «**يا أسامة ! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله ؟!**»، قال أسامة رضي الله عنه: «فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»(1).

وقد استفاد أسامة رضي الله عنه من هذا التعنيف في النصح أيام الفتنة التي كانت بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فأورثه تورعًا عن دماء المسلمين.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: «انتفع أسامة من يوم النبي ﷺ إذ يقول له «**كيف بلا إله إلا الله يا أسامة ؟!**» فكفّ يده، ولزم بيته، فأحسن». فما أعظم التربية النبوية، وما أحقر التربية الحزبية»(2).

هذا.. وقد ذكر العلامة العز بن عبد السلام رحمه الله في كتابه «شجرة المعارف والأحوال...»: «**فصل في إلانة القول والفعل في مظانهما**».

ذكر تحته قول «الله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[طه:44]. وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾[آل عمران:159] ...

وقال عليه السلام: «**المؤمن كالجمل الآنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ علىٰ صخرة استناخ**» ...».

(1) رواه البخاري (4269) ومسلم (96).

(2) بتصرف من "ست درر من أصول أهل الأثر" للشيخ عبد المالك الرمضاني، ص(123-122) مكتبة الفرقان ط. السادسة 1422هـ.

وبعد ذكر ما تقدم قال العلامة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

«للين مواطن لا يليق بها غيره، وللغلظ مواطن لا يناسبها سواه، فمن استعمل أحد الأمرين في موضع الآخر فقد أخطأ.

وقد ألان موسىٰ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القولَ لفرعون في ابتداء رسالته بقوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات]، فلما أصرَّ مع علمه بصدقه، قال له موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿...وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ۝١٠٢﴾ [الإسراء].

وفيه (أي: الإصلاح باللين تارة وبالشدة أخرىٰ): تأليفُ القلوب، وتطييب النفوس، موجب للاتفاق علىٰ مصالح الدارين»(1).

وفي نفس المرجع عقد فصلاً قال فيه:

(1) «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» ص(214-215).

فصل: في السب في الإنكار وفي مواجهة المعاند والمصرّ بما يكره

وقال تحته: «قال عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه -وقد سبّ رجلاً وعيّره بأمه-: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» متفق عليه[1] قال ذلك مرتين.

وقال في خُطبته: «**أو كلما نفرنا في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة**» رواه الإمام مسلم[2].

وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه:61].

وقال العلماء لمن عظّم الدنيا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص:80].

وقوله تعالىٰ: ﴿...وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾ [الأحقاف:17].

وقوله تعالىٰ: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالىٰ: ﴿...بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء].

وقوله تعالىٰ: ﴿...وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء].

---

(1) رواه البخاري برقم (30)، ومسلم برقم (1661)، عن أبي ذرّ رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم برقم (1692)، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ في الذين قالوا «حبط عمل عامر»: «**كذبوا**» متفق عليه[1].

وقال لغلام حاطب لما قال «ليدخلن النار»: «**كذبت**[2]» رواه مسلم[3].

وقد قال أبو بكر رضي الله عنه لسهيل بن عمرو بحضرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**امصص بظر اللات**» رواه الإمام البخاري[4].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾[الكافرون] ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾[الزمر].

وقال لوط عليه السلام: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾[الأعراف].

أخذ الأنبياء في أول الأمر باللين واللطف كما أمروا فلما رأوا من قومهم الإصرار أغلظوا عليهم الإنكار.

---

(1) رواه البخاري برقم (4196) و(6148)، ومسلم برقم (1802)، ونص الحديث أن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال: «... رآني رسولُ الله ﷺ وهو آخذٌ بيدي قال: «مالكَ». قلتُ لهُ: فداكَ أبي وأمي، زعموا أنَّ عامرًا حبطَ عملهُ، قال النبيُّ ﷺ: «**كذبَ من قالهُ**، إنَّ لهُ لأجرَينِ -وجمعَ بينَ إصبعَيهِ- إنهُ لجاهدٌ مجاهدٌ، قلَّ عربيٌّ مشىٰ بها مثلهُ».

(2) و«**كذبت**» هنا وسلفها -وفق سنن لسان أهل الحجاز- بمعنىٰ: أخطأتَ. وإنا إذ نذكر هذا نذكر معه: قول شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد: أن الرافضة من أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم» اهـ «منهاج السنة النبوية» (1/ 59) ولهذا يقال في المثل: «أكذب من رافضي».

(3) رواه مسلم برقم (2495)، ونصّه: أنَّ عبدًا لحاطبٍ جاء رسولَ اللهِ ﷺ يشكو حاطبًا. فقال: يا رسولَ اللهِ ليدخلنَّ حاطبٌ النارَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**كذَبتَ لا يدخلُها؛ فإنه شهد بدرًا و الحُدَيبيةَ**».

(4) رواه البخاري برقم (2731)، بلفظ: «**امْصُصْ بِبظرِ اللاتِ**».

وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:73 والتحريم:9].

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:123].

وقال تعالىٰ لنساء الرسول: ﴿...فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ...﴾ [الأحزاب:32].

ولكل مقام مقال يليق به علىٰ ما يراه الآمر والناهي مصلحة[1].

في الزواجر إعزاز الدين والاستخفاف بالمخالفين:

سبّ رسول الله[2] صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبا ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بما فيه من أخلاق الجاهلية؛ ليأنف منها وينزجر عنها.

وشبه المعترض لنساء المسلمين بالتيس احتقارا له وغضبًا زجراً له وحرصًا علىٰ صيانة حرم المسلمين[3].

(1) **والمقصود بالمصلحة**: المصلحة الشرعية، ومن المعلوم أن أهل المعرفة بالمصالح والمفاسد هم وجهاء الناس وفي مقدمتهم وعلىٰ رأسهم السادة العلماء شرفهم الله تعالىٰ ورفع أقدارهم في كل عصر ومصر، وفي كل آنٍ وحين.

(2) وإنا إذ نذكر هذا نذكر معه شرط رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي اشترطه: «إنما أنا بشر وإني اشترطت علىٰ ربي عَزَّ وَجَلَّ أي عبد من المسلمين شتمته أو سببته أن يكون ذلك له زكاة وأجرًا» والحديث في صحيح الإمام مسلم برقم (2602) وغيره، وهو أيضًا في «صحيح الجامع» برقم(2343).

(3) **قلت**: هذا بالنسبة للفرد، وأما ما يتعلق بوحدة المسلمين أجمعين:

في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – وذكر الحرورية – فقال: قال النبي ﷺ: «**يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**».

وقد روي ذم الخوارج من أكثر من أربعين وجهًا؛ روىٰ مسلم في صحيحه عشرة أوجه، وخرَّج بعضها البخاري- وقد ورد في وصفهم «يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

وورد في وصف آخر: «**يقولون من قول خير الناس، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» وقال عنهم: «**شر قتلىٰ تحت أديم السماء**» وفي لفظ آخر: «**لئن لقيتهم لأقلتنهم قتل عاد**» وفي آخر: «**شر الخلق والخليقة**»، وفي آخر: «**فإذا لقيتموهم فاقتلوهم**» وغيرها من الألفاظ... فقد حذر منهم الرسول ﷺ وحث علىٰ قتالهم –والقتال أعظم من اللعن والتحذير– مع وصفه لهم بشدة العبادة والقراءة، واتفق الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ قتالهم.

هذا والخوارج خير من الروافض والقبوريين ونحوهم.

ولما خرجت الغالية في وقت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام بتحريقهم – كما في الصحيح-.

ولما خرج صبيغ يسأل عن المتشابه قام إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنزع عمامته وقال: «لو رأيتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك ثم ضربه بالعراجين ونفاه».

ولما خرجت القدرية في أواخر وقت الصحابة أنكر ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليهم ذلك: فقد روىٰ البيهقي وغيره عن مجاهد قال: أتيت ابن عباس برجلٍ فقلت: يا ابن عباس، هذا يكلمك في القدر. قال: ادنه مني. فقلت: هو ذا، تريد أن تقتله. قال: «إي والذي نفسي بيده، **لو أدنيته مني لوضعت يدي في عنقه فلم يفارقني حتىٰ أدقها**». وللبيهقي وغيره في رواية أخرىٰ عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: «أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا علىٰ موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين».

وفي صحيح الإمام مسلم عن يحيىٰ بن يعمر قال: أول من تكلم في القدر معبد الجهني. قال: فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتىٰ أتينا المدينة، فقلنا: لو لقينا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم. قال: فلقينا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو خارج من المسجد. قال: فاكتنفته أنا وصاحبي. قال: فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ. فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن قومًا يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، ويزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريئ وأنهم مني برءاء، والذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ما قبل ذلك منه حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره.

وكذلك التقبيح بالويل إنما يكون للزجر، **والزجر عن الكفر نفعٌ للمزجور عنه**.

وأما تكذيب من تفوه بما لا يعلم، والتصريح بذلك فتعزيرٌ وردعٌ لمن تكلم بما لا يعرف.

وأما قول أبي بكر ﵁ لسهيل بن عمرو: «امصص بظر اللات» فاحتقارٌ منه لسهيل واللات، كما قال إبراهيم ﵇: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

وروى الدارمي عن عمرو بن سلمة قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟. قلنا: لا. حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً. قال: فما هو ؟. فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم ؟. قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟. قالوا: يا أبا عبد الله، حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، **ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم**، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا بابِ ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ! إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

فيظهر فيما سبق أنه لم تظهر بدعة على عهد الصحابة وعلموها إلا قابلوها بالإنكار، فمن أراد أن ينهج صراطهم ويقتفي أثرهم فعل مثلهم...

والعاقل يعرف مظان الغضب لله تعالىٰ فيغضب فيها، ويعرف مظان التلطف فيتلطف فيها.

ألا ترىٰ أن موسىٰ عليه السلام تلطّف في أول الأمر بفرعون بقوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات] ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأعراف]، وغير ذلك من القول اللين الذي أمر به.

فلما أصرّ وأظهر العناد مع تيقّنه صِدق موسىٰ عليه السلام لقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:14]، ثم قال لموسىٰ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء].

فأجابه بما يقتضيه الحال في الجواب، فـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هذه الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء] أي: مُهلكًا.

وقال ﷺ لابن صياد: «**إخسأ فلن تعدو قدرك**» متفق عليه(1)، وقال لهرقل: «**أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين**» بدأ بالترغيب وختم بقوله: «**فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين**» متفق عليه(2).

(1) رواه البخاري برقم(1354)، ومسلم برقم(2930)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) رواه البخاري برقم(7)، ومسلم برقم(1773)، عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه.

وقال سليمان عليه السلام : ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل]، فلما لم تجبه بلقيس وغالطته بالهداية، قال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل] .

وكذلك جميع الرسل إذا استقرأتَ أمرَهم في بدء الإرسال وجدتَ فيه الرِّفق واللّين والشّفقة علىٰ قومهم، فإذا اضطُروا وعُوندوا؛ أغلَظوا لهم حينئذ؛ لِما ركّب الله تعالىٰ في رسله من العقول الوافرة والأحلام الكاملة: ﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:124].

بخلاف العَيِيِّ الذي يلين في مواطن الإغلاظ، ويغلظ في مظان اللين، معتداً أنه مقتدي بالرسل في غلظهم ولينهم، فنعوذ بالله من الجهل بمظان خطابه، ومن تحريف كلامه وتنزيله علىٰ غير مراده»[1] .

❁ ❁ ❁

(1) «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» للعز بن عبد السلام ص(225-222) ت: حسين عكاشة – دار ماجد عسيري ط. الأولىٰ 1421هـ

فصل: في إظهار الكراهية في الإنكار

وذكر أيضـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا «في إظهار الكراهية في الإنكار» قال تحته:

«فما أحسن الغضب والزجر وإبداء الكراهية في مظانها؛ **فإن ذلك كله إحسان إلىٰ المنكر عليه، ومبالغة في إقامة شرائع الإسلام، وحفظ حقوق الله تعالىٰ**. فإن الله خلق الغضب لدفع الضيم، فما أحسن استعماله في دفع انتهاك حرمات الله عَزَّوَجَلَّ »[1] .

وقال أيضـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما له تعلق بسابقه: « **إظهار الغضب إحسان إلىٰ المنكر عليه**؛ لما في ذلك من ردعه عن المنكر وزجره عنه...»[2] .

قلت:

ومن ذلك: ما صحّ «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان لا يتطير من شيء**، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بشر ذلك في وجهه. **وإن كره اسمه رؤىٰ كراهية ذلك في وجهه**. وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤىٰ كراهية ذلك في وجهه»[3].

---

(1) «شجرة المعارف والأحوال...» للعز بن عبد السلام ص(225).

(2) «شجرة المعارف والأحوال...» ص(222).

(3) «صحيح سنن أبي داود» برقم(3920).

ومن ذلك أيضـًا: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها (أي: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وعندها رجل. قال حفص: فشقّ ذلك عليه، وتغير وجهه، ثم اتفقا قالت يا رسول الله: إنه أخي من الرَّضاعة ... »[1].

ومن ذلك أيضـًا: ما رواه خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتينا رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -وهو متوسد بردة في ظل الكعبة- فشكونا إليه، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمرا وجهه، فقال: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرّجلُ فيُحفرُ له في الأرض، ثمّ يُؤتىٰ بالمنشار فيُجعلُ علىٰ رأسه، فيُجعلُ فرقتين؛ ما يصرفُهُ ذلك عن دينه، ويُمشّطُ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمٍ وعصبٍ؛ ما يصرفُهُ ذلك عن دينه. واللّه ليُتمّنّ اللّهُ هذا الأمر حتّىٰ يسير الرّاكبُ ما بين صنعاء وحضرموت ما يخافُ إلّا اللّه تعالىٰ والذّئب علىٰ غنمه ولكنّكم تعجلون»[2].

ومن ذلك أيضـًا: قوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في اللقطة والضالة : «عرّفها سنة، ثم اعرف وكاءها وعفاصها ثم استنفق بها، فإن جاء ربها فأدها إليه» فقال يا رسول الله: فضالة الغنم؟. فقال: «خذها، فإنما هي لك، أو لأخيك، أو للذئب». قال يا رسول الله: فضالة الإبل؟ فغضب رسول الله ﷺ حتىٰ

(1) «صحيح سنن أبي داود» برقم(2058).

(2) «صحيح سنن أبي داود» برقم(2649).

احمرت وجنتاه، أو احمر وجهه[1] وقال: ما لك ولها؛ معها حذاؤها وسقاؤها حتىٰ يأتيها ربها»[2].

وفي الباب صوراً كثيرة مبثوثة في كتب الصحاح والمسانيد من رامها وجدها.

❁ ❁ ❁

(1) وكما ظهر الغضب في وجه نبينا صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مما يسفر علىٰ صفاء نفس ونقاء سريرة:

فكذا ظهرت البركة والصلاح في وجهه المبارك، فعن زرارة بن كريم أن الحرث بن عمرو السهمي حدثه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنىٰ أو بعرفات وقد أطاف به الناس قال فتجيء الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا هذا وجه مبارك...» «صحيح سنن أبي داود» برقم(1742).

كذلك ظهر السرور في بهجة وجهه، فعن أم المؤمنين أمنا الطاهرة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ يوما مسرورا تُعرف أسارير وجهه، فقال: أي عائشة ألم تري أنَّ مُجزِّزًا المُدَّلِجيّ رأىٰ زيدًا وأسامةَ قد غطَّيَا رءوسَهما بقطيفةٍ وبدَتْ أقدامُهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض» قال أبو داود: كان أسامة أسودا وكان زيد أبيضا. «صحيح سنن أبي داود» برقم(2267).

ومن ذلك خشيته من الله تعالىٰ: فعن أمنا أم المؤمنين الطاهرة المطهرة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعا ضاحكا حتىٰ أرىٰ منه لهواته. إنما كان يتبسم، وكان إذا رأىٰ غيما أو ريحا عُرف ذلك في وجهه، فقلت يا رسول الله: الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية.فقال يا عائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؛ قد عُذّب قوم بالريح، وقد رأىٰ قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا» «صحيح سنن أبي داود» برقم(5098).

(2) «صحيح سنن أبي داود» برقم(1704).

فصل: في تكذيب من قال بالجهل

وقال تحته تعليقاً علىٰ حديثي سلمة بن الأكوع لرسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن ناساً من الصحابة قد قالوا: حبط عمل عامر». فقال: رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كذبوا إن له لأجرين».

وقوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِغلام حاطب لما قال: «ليدخلن حاطب النار»: «كذبت[1]».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ فيهما: «**التصريح بتكذيب من تفوه بما لا يعلم زجراً له عن أمثال ذلك، فهو ضرب من الاستصلاح[2]**»[3].

وبعدما تقدم، ذكر فصلاً له صلة بسابقيه مترجماً له بـ «**فصل في النصح في الدين وغيره**» قال تحته:

«قال الله تعالىٰ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ...﴾[الأعراف:62].

وقال تعالىٰ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

---

(1) **قلت**: ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن «كذبت» في لغة أهل الحجاز -كما تقدم- بمعنىٰ أخطأت وهي والحالة هذه أيضاً خرجت مخرج الإنكار، وإن كان دون ظاهر المقال عند مبادرته الأذهان.

(2) **قلت**: وهي هنا مع كونها بمعنىٰ الطلب -طلب الإصلاح- تصلح أن تحمل أيضاً علىٰ معنىٰ الزيادة والمبالغة في الإصلاح.

(3) «شجرة المعارف والأحوال...» للعز بن عبد السلام ص(226).

وقال تعالىٰ: ﴿... لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ...﴾ [الأعراف:79].

وقال تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات].

وقال صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولنبيه وللأئمة المسلمين وعامتهم**»(1).

قال جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بايعت رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم» متفق عليه(2).

النصح: إعانة علىٰ ما فيه النصح، **فالنصح في الأديان أفضل من كل نصح**، وتترتب فضائل النصح علىٰ فضائل متعلقه، **فالنصح بالإيمان أعلىٰ مراتب النصح في الأديان**، والنصح هو الإشارة بما هو الأصلح الأنفع للمستشير».

وأردف الفصل المتقدم بصنوه تأكيداً له وتوكيداً مع تخصيص نفيس؛ فقال: «**فصل في المسارعة إلىٰ النصح في الدماء**» وذكر تحته قولَه تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص].

---

(1) رواه الإمام مسلم (1/ 74) برقم(55).

(2) رواه الإمام البخاري (1/ 166) برقم(57)، والإمام مسلم(1/ 75) برقم(56).

وكذلك المسارعة في كل أمر ديني يخاف فوته، وقد تجب المسارعة، كالمسارعة في النهوض إلىٰ القتال، وكما لو رأينا من يقتل مسلماً لو تبطأ عليه لقتله، فالمسارعة إلىٰ تخليصه منه واجبة؛ **إذ ليست الأناة محمودة في كل شيء، بل لها مواطن تحمد فيها ومواطن تذم فيها**.

وكذلك المسارعة واللين والغلظة وغيرهما، نسأل الله أن يوفقنا للعمل بطاعته في مواقعها ومظانها، وأن يجعلنا ممن فهم عنه أمره نهيه، وأجابه إلىٰ ما دعاه إليه وحثه عليه»[1].

❀ ❀ ❀

(1) «شجرة المعارف والأحوال...» للعز بن عبد السلام ص(226-227).

فصل: في الإنكار على الأكابر

وأنشأ رَحِمَهُ اللَّهُ فصلاً «في الإنكار علىٰ الأكابر» ذكر تحته قول «موسىٰ في إنكاره علىٰ الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١﴾ [الكهف]»[1].

قلت:

ومنه: إنكاره علىٰ أخيه هارون عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن ذلك أيضـًا: إنكار رسول الله عيسىٰ علىٰ ابن خالته عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التأخر في البلاغ خشية العقاب.

ومنه أيضـًا: أحد العُمرين علىٰ أخيه؛ طاعة لله تعالىٰ وغيرة علىٰ الدين[2].

---

(1) «شجرة المعارف والأحوال...» للعز بن عبد السلام ص(226).

(2) **وأقول:** وينبغي في المقام مراعاةُ رتبة الكبار، فلا ينكِر علىٰ الكبار إلا من كان مثلَهم أو في رتبتِهم، وبالأسلوب الأمثل والطريق الأقوم الذي يحفظ مكانتهم، سواء استخدام أحد الأسلوبين: اللين أو الشدة، إذ أنهما في ذاتهما درجات ودركات.

وأيضـًا: يكون النصح مشفوعـًا بالدليل بعد التأكد من وقوع المخالفة والاستفسار والاستفصال.

كما يراعىٰ أيضـًا: السرية في النصح صيانة لهم، ولما حملوه، ما لم يكن نشروه.

وأقول: إن عدم مناصحة العَالِم شرٌّ وبيل، وخطر جسيم، إذ في ذلته ذلة عالَم؛ لذا إذا أخطأ، فمناصحته واجبة، من مثله لمثله إذا علم وقدر، محفوفة بباقة من رياحين الرفق، وعبق اللين.

لأجل ذلك فنصحي متصلٌ للنجوم الزاهرة، والدراري المضية، والكواكب البهية، المحيطة بأهل العلم، أن يتحفوهم بين الفينة والأخرىٰ بأطايب النصح.

ثم إذا ما رجع عن الخطأ، وأصلح وبيّن –وهذا هو المرجو– وجب السكوت عن زلته، والتغاضي عن سقطته، بل ينبغي بعد حمد الله تعالىٰ: شكره.

فصل: في التحذير من المخالف حيًا كان أو ميتًا

ذكر العلامة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلاً «في الإحسان إلىٰ الميت»: وفيه: «... وأن لا يُذكر إلا بخير، **إلا أن تمس الحاجة إلىٰ ذكره بشر؛ لجرحه في شهادته وروايته، أو تحذير من بدعته وفساد طويته**»(1).

وقال رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنْهُ: «جرح الأعراض جائز بسبب الشهادة والرواية»(2).

قلت:

نعم.. يُرَد علىٰ الرجل بعد توبته؛ إن لم يُصلِح هو ما أفسدَه.

أو قبل علمه، سرّاً، وإلا جهراً، هذا إن لم يذيعه؛ وإلا أُذيعَ.

أو بعد موته، سيما إذا كان فكر المبتدِع المبتدَع لم يمت مع موته، ناهيك إذا ما زالت ضلالته تسري في عروق بعض المرضىٰ والضعفة، ولا يزال داؤه ينخر في عظام الأمة، تتقلب وتتعنىٰ له جوارحُها، وتتقلّىٰ به الحقيقة، ويؤرِّق بسببه مضجعُ كل صواب، مما اختلفت معه أوراق الأفهام، وأحرف البيان، وطاش معه طريق الأقلام، فضلت فئام، ولبّس علىٰ الناس، وصار الحق باطل والباطل حقا عند أنام.

فيلزم والحالة هذه علىٰ كل علاّم: البيانُ بحسب الإمكان.

(1) «شجرة المعارف والأحوال...» للعز بن عبد السلام ص(133).

(2) «شجرة المعارف والأحوال...» ص(359).

ويجب عليه تحذير الأنام، إذ أنه خطر هدّام لا للبنيان فحسب، وإنما لصرحِ الدين في نفس بعض العوام.

وإذا ما تعيين، لا يجوز في حقه خذلان، ولا تقية إنسان؛ إذ «**لا تقية لقدوة**» كما قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فصل: في إبطال دعواهم أن في التحذير من المخالف والشدة عليه -أحيانا- تفرُّقُ الصف

وما نصحوا ! وبيان أن من التفرق ما هو محمود

«يجب تصحيح المفاهيم والانتباه إليها؛ فرُبَّ كلمة حق أريد بها الباطل؛ ولأنه لو كانت التفرقة بين الحق والباطل شيئًا مذمومـًا، وتبيين الرشد من الغي شيئًا منكراً؛ لما أخبرنا الله تعالىٰ عن أنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأنهم كلما جهروا بالحق وأبطلوا الباطل اختلف الناس ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل] ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

وبيّن تعالىٰ سبب بعثة رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال].

وأمر تعالىٰ نبيَّه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

فالمفرقون والطائفيون هم الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل المؤمنين، وينهجون منهجًا غير منهج المؤمنين، ويدعون الناس إلىٰ ولاية أشخاص

وتقليد أناس لم يأمرنا الله تعالىٰ به في صميم كتابه، ولا النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الثابت من سنته.

وأما الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ وحده، والتوحيدِ الخالص، ونفيِ الإشراك بالله عَزَّ وَجَلَّ صغيراً أم كبيراً، جليـًا أم خفيـًا، وإلىٰ اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل ما ثبت عنه من قوله وفعله وتقريره، فهم الدعاة إلىٰ الوحدة الحقيقيون مهما تقول المتقولون وتطاول المتطاولون»[1] .

❀ ❀ ❀

(1) بتصرف من «الرد الكافي علىٰ مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة» للعلامة إحسان إلهي ظهير ص(31-30) دار الإمام المجدد ط. الأولىٰ 1426هـ

فصل: في أن الردود على المخالفين بالبراهين بالشدة -أحيانا- واللين، مقام الصدّيقين أيها الغافلون

وبما تقدم يتبين لنا بجلاء ليس فيه أدنىٰ خفاء، صدقُ الترجمة، وبقي أن نقول بما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله ﷺ ورَدوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا علىٰ الله، وفي الله بغير علم.

فردوا باطلهم، وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، ونافحوا عن الله ورسوله»؟! (1).

❀ ❀ ❀

(1) «الصواعق المرسلة» (1/ 262-263).

فصل: في أن ذكر البدعة وتعيين المبتدع من تمام النصح، وناصع البيان، وصادق التبيين

وإن كان في تعيينه شدة عليه وإيلام، غير أن فيه -مع قد قدمنا من تمام البيان- ردعٌ لنفسه الجامحة، وزجرٌ لأهوائه الهائمة، وآرائه السائمة من التفّلت والزيغ، ودوموقة الشرود المؤدي إلىٰ الصدود.

فإن لم يكن؛ كان إيصاداً لتماديه في الضلال والغي، بالحجر عليه.

وقبل هذا وذاك: طاعةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال العلامة الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ -محدث الديار اليمنية : «أما سلفنا الصالح رَضِوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فهم بحسب المبتدع: **إن كان مبتدعًا ضالاً، ذكروه ببدعته ولا كرامة، ولا يذكرون شيئًا من محاسنه.**

فجابر بن يزيد الجعفي المبتدع الضال الذي يقول بالرجعة يذكره من قال فيه إنه كذاب ولا يقول هو حافظ أو كذا...

وهكذا مثل المغيرة بن سعيد دجال من الدجاجلة، وبيان بن سمعان دجال من الدجاجلة، والحلاج الصوفي دجال من الدجاجلة، فالعلماء يذكرون الشخص ويبينون ما فيه»(1).

(1) «فضائح ونصائح» ص(104-105).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[المسد]؛ يُجَرِّح أبا لهب ويجرح امرأته أيضًا.

وموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عند أن أراد أن يبطش بالقبطي قال لصاحبه : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [القصص].

والنبي ﷺ يقول لرجل «**بئس أخو العشيرة...**» أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي الصحيح[2] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تقول له امرأة أبي سفيان: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني».

ويقول ﷺ : «من سيدكم يا بني سلمة ؟» قالوا: الجد بن قيس، علىٰ أنّا نبخله، فقال ﷺ : «وأي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح»[3].

---

(1) أخرجه البخاري برقم(6032)، ومسلم برقم(2591).

(2) أخرجه البخاري برقم(3825)، ومسلم برقم(1714).

(3) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم(296)، وحسنه العلامة مقبل في «الصحيح المسند» برقم(236).

ويقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «أفتان أنت يا معاذ؟»[1].

ويقول لأبي ذر: «إنك رجل فيك جاهلية»[2].

ويقول لبعض نسائه: «إنكن صواحب يوسف»[3].

وروى البخاري في صحيحه[4] أن النبي ﷺ قال: «ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا».

ويقول النبي ﷺ لحمل بن مالك بن النابغة لما قال ﷺ في امرأة ضربت امرأة أخرى فأسقطت جنينها «فيه غرة عبد أو أمة»، فقال حمل بن مالك بن النابغة: يا رسول الله! كيف نَدِي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل فمثل ذلك يُطَلُّ، فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان» من أجل سجعه[5].

ويقول ﷺ: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»[6].

ويقول في الخوارج: «إنهم كلاب أهل النار»[7].

---

(1) أخرجه البخاري برقم(701)، ومسلم برقم(465).

(2) أخرجه البخاري برقم(30)، ومسلم برقم(1661).

(3) أخرجه البخاري برقم(664)، ومسلم برقم(418).

(4) أخرجه البخاري برقم(6067).

(5) أخرجه البخاري برقم(5758)، ومسلم برقم(1681).

(6) صححه الألباني في «غاية المرام» برقم(7)، وأخرج مسلم مثله برقم(2670) مع اختلاف يسير.

(7) أخرجه أحمد برقم(19130)، وصححه الألباني في «تخريج كتاب السنة» برقم(904).

ويقول أيضـًا: «إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»(1).

فالذي يُزهّد في الجرح والتعديل فهو يزهد في السنة، فإذا لم يكن هناك جرح وتعديل فإن كلام الداعي إلىٰ الله العالم الفاضل مثل كلام...» وذكر المنحرفون في هذا الزمان.

ثم قال: «... فأنا أقول: **لا يزهد في هذا العلم إلا رجل جاهل، أو رجل في قلبه حقد، أو رجل يعلم أنه مجروح فهو ينفر عن الجرح والتعديل؛ لأنه يعلم أنه مجروح**.

وأبىٰ الله إلا أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يظهر الحق؛ **فأصبح أهل السنة يلهجون بالجرح والتعديل وكأنهم كانوا نياما فيسر الله لهم من يوقظهم**، فما كانوا يتكلمون في الجرح والتعديل وكأنه خاص بزمن البخاري ومسلم...

كيف لو سمعوا كلام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رتن، وما رتن، دجال من الدجاجلة، ادعىٰ الصحبة بعد ستمائة عام».

أو سمعوا قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرواية عن حرام بن عثمان حرام».

أو قول الشافعي أيضـًا: «من روىٰ عن البياضي بيض الله عيونه»، كيف لو سمعوا هذا الكلام، يقولون الإمام الشافعي هذا متشدد متزمت يطعن في المسلمين وفي العلماء، **نحن نتحداكم أن تثبتوا أننا طعنا في العلماء** ...

(1) أخرجه البخاري برقم (3611)، ومسلم برقم (1066).

قال الحافظ الصوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قل لمن عاند الحديث وأضـ ـحىٰ عائبًا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لي أم بجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الديـ ـن من الترهات والتمويه
وإلىٰ قولهم وما قد رووا راجع كل عالم وفقيه
فكن رجلاً رجله في الثرىٰ وهامة همته في الثريا»(1).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا ما زال العلماء يحذرون من المبتدعة ومن أهل البدع، ولله در الإمام أحمد حيث يقول: الرد علىٰ أهل البدع أفضل من الجهاد في سبيل الله»(2).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مسألة الجرح قصمت ظهورهم، وكل واحد حتىٰ وإن لم نجرحه متوقع أن نجرحه اليوم أو غد أو بعد غد.

ففي الصحيحين عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك»(3).

(1) «فضائح ونصائح» ص (112-116) بتصرف يسير.
(2) «فضائح ونصائح» ص (147).
(3) أخرجه البخاري برقم (7311)، ومسلم برقم (1921).

ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿...لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ...﴾ [الأنعام:19].

فهل معنىٰ أن الجرح والتعديل مقصور علىٰ القرن الثالث، وما بعده يكون حرامًا؟ فأين دليلك؟ والنبي ﷺ يقول: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(1).

والجرح له أصل أصيل من الكتاب والسنة: فموسىٰ يقول لصاحبه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ١٨﴾[القصص].

ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ...﴾ [الأعراف].

فلما لم يقل النبي ﷺ هذه الآية حدها القرن الثالث! وما بعد القرن الثالث لا؟ مثله كمثل الذي ألف كتابا بعنوان «أشد الجهاد في إبطال الاجتهاد» فما بقي اجتهاد بعد أصحاب المذاهب الأربعة، وفضل الله واسع، ولا ينبغي أن ينكر»(2).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا نذكر الحسنات والسيئات إلا في مثل الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ ربيع

(1) أخرجه مسلم برقم(49) عن أبي سعيد الخدري.

(2) «فضائح ونصائح» ص(144-145).

بن هادي، وغيرهم إذا حصلت منهم سيئات نذكرها ونذكر الحسنات التي لهم، وأمثال هؤلاء المشايخ الأفاضل، أما شخص مبتدع يجادل عن البدعة صباح مساء فلا نذكر حسنة ولا كرامة»[1].

قلت:

ولا زالت أسفار العقائد، ودواوين الفرق، وكتب السير والتأريخ تسفر لنا عن أسماء وأسماء، بل نسبوا الفرق إليهم: كالجهميّة والأشعريّة والكلابيّة، وجلّ الطرق الصوفية لا كثرها الله تعالىٰ.

مع ما قد استقر من كون ذكر المبتدع مقرونـًا ببدعته، من تمام النصح، وهذا مما استمر فاستقر، وحُمِل وشكر.

(1) «فضائح ونصائح» ص(151).

فصل: في اشتداد العجب من تقاعس بعض أهل الحق عن نصرته، ونشاط أهل الباطل في نفث باطلهم

لقد كثرت آهات وأنات بعض أهل الحق، وسُمع ورُؤي توجعهم من تكاسل أهل الحق في نصرة الحق ومعاضدة أهله.

في الوقت الذي يجد جدَّ واجتهاد بل وجهاد أهل الباطل لتسويق باطلهم وهو فاسد كاسد.

ويشتدُّ العجب من بعضهم؛ إذ يقوم بجهلٍ أو عاطفةٍ في ثوب ناصح، يدافع وينافح عن الباطل، تعاطفاً مع أهله! خاب وخسر، خاب وخسر، خاب وخسر.

وأنقل هنا صرخة، علّها تورث فزعة تتلوها فزعة:

«فواعجبا من اجتماع أهل الباطل علىٰ باطلهم، والإخلاص له، وتقاعس أهل الحق عن حقهم، وتخاذلهم عن نصرته.

وواأسفاه علىٰ محاماة أهل الحق عن آراء أهل الباطل، والدفاع عن عقائدهم الفاسدة، والتحمس في التماس الأعذار لهم تطوعاً أو بغير تطوع، وبأخذ البديل والأجرة أم دون أخذه تصدقاً عنهم، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون»(1).

(1) «الرد الكافي علىٰ مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي» للعلامة إحسان إلهي ظهير ص(21).

الخاتمة

وتحتها توصيات:

وصيّة:

أهل البدع لا يحدثون ببدعهم أول أمرهم،
وعليه فيجب الإنكار صغارًا، قبل الدمار كبارًا

قال مُفَضَّل بن مهلهل الضبعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعة حذرته وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك فلا تخرج من قلبك»[1].

وقال أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ابتدع رجل بدعة إلا واستحل السيف».

قال أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ : «وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب» يعني: أبا قلابة[2].

(1) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة العكبري (2/ 444) وانظر «إرشاد البرية إلىٰ شرعية الانتساب للسلفية» لحسن بن قاسم الحسيني الريمي، قدم له: الشيخ مقبل الوادعي ص(28).

(2) «سنن الدارمي» (1/ 58)، و«الشريعة» للآجري ص(64).

وصيّة:

لا يترك الحق لأجل الباطل، إذ الإنكار على الباطل، لا الحق.

قال أمير المؤمنين في الحديث الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونظر إلىٰ أصحاب الرأي:

«ما حدثك هؤلاء عن أصحاب النبي ﷺ فاقبله، وما خبروك به عن رأيهم فارم به في الحش»(1).

وعقد العلامة العز ابن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل لا يترك الحق لأجل الباطل» قال تحته: «قال الله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة:158].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[المائدة:58].

وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يطوف بالبيت يصلي وفيه الأصنام، كان علىٰ الصفا والمروة صنمان أحدهما: إساف، والآخر: نائلة.

وكان بعض الكفار يهلون لهما، فلما جاء الإسلام تحرج قوم أن يطوفوا بالصفا والمروة لأجل الصنمين؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:158]. فلا تتركوا شعائر الله وهي حق، لأجل إساف ونائلة وهما باطل، فلم يترك السعي لأجل إساف ونائلة.

(1) «تأويل مختلف الحديث» ص (40).

ولم يترك الآذان لأجل استهزائهم، وكذلك الغزو مع الفجرة والفسقة لا يترك لأجل ما يشاهد من فجورهم؛ لأنا إن قدرنا علىٰ إنكاره عليهم حصل أجر الغزو والإنكار، وإن عجزنا حصل أجر الغزو وأجر الإنكار بالقلب، وتألمنا لذلك وتوجعنا به لأجل الله مما يمحص السيئات ويرفع الدرجات، فإن التألم بغير هذا السبب يكفر السيئات، فما الظن بالتألم لأجل معاصي الله إجلالا له.

وهذا بخلاف سبّ الأصنام إذا أدىٰ إلىٰ سبّ الرحمن، وقد جعل رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الكبائر أن يسب الرجل أبويه بأن يسب الرجل فيسب أباه» (1).

قلت:

والمعنىٰ: فإذا كان المتسبب في سب والديه عدت جريمته من أكبر الكبائر، فكيف بسبّ يؤول إلىٰ سبّ العظيم الجليل سبحانه وتقدس.

وفي الباب: قال أعلم الأمة بالحلال والحرام، متقدم العلماء، معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اقبلوا الحق من كل ما جاء به**، وإن كان كافراً.

قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ؟

قال: علىٰ الحق نور»(2) .

(1) «شجرة المعارف والأحوال...» ص(345).

(2) رواه أبو داود كتاب السنة، وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، والعلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم(4611).

وصيّة:

كما لا ينبغي أن يضيع حق لمكانة قائله، بقيده.

وهو في الباب، بل هو نافع لأولي الألباب: «**محال أن يضيع الحق؛ لاحترام قائله**» قاله الفقية الصالح ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وصيّة:

حسن النيّة، وصلاح المخالف في ذاته، بل وكونه من أهل الحق، لا يمنع من ردّ خطئه، بشرطه.

إن حسن النيّة، وصفاء الطويّة، وصلاح الرجل بل وحسن بلائه، لا يمنعن من بيان الحق(1) وأحيانـًا الأخذ علىٰ يديه، صيانة له وسلامة لغيره، وجبراً له، وزجراً له ولغيره.

ولا يزال أهل الحق يردّ بعضهم علىٰ بعض، اتباعـًا للحق وانتصارا له، بل ومع حب صادق(2) بحق.

(1) **ومِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا بدَّ مع حسن القصد من موافقة السنَّة**: قصة الصحابي الذي ذبح أُضحيته قبل صلاة العيد، وقال له النَّبيُّ ﷺ: «**شاتُك شاةُ لحم**» رواه البخاري (955) ومسلم (1961).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث في "الفتح" (10/ 17): «قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: وفيه أنَّ العملَ وإن وافق نية حسنة لَم يصح إلاَّ إذا وقع علىٰ وفق الشرع».

(2) **ودونكم هذه الصورة العملية التي تجلي تلكم الصورة البهيّة**: وذلك من الرسالة المشهورة، رسالة الإمام الليث بن سعد للإمام مالك بن أنس رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وفيها قال الليث: «وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد الله – ابن الماجشون– بعض ما نعيب علىٰ ربيعة من ذلك، فكنتما لي موافقين فيما أنكرت، تكرهان منه ما أكره،

وصية:

الواجب المناصحة لا المناطحة، وليكن رائدك الحق، وإن جاء به شيطان

الحاجة داعية بل ملحة راجية إلىٰ شيوع التناصح الشفيق الرفيق في ربوع مجتمعاتنا الطائعة الطيبة، لا سلّ سيف الحِدَّة العنيف، ولا دكّ الرؤوس –ابتداءً– بمطارق الشدة الشديدة؛ إذ **الواجب المناصحة لا المناطحة**، و «في لين الكلام جبر القلوب وتطييب النفوس»(1).

وعليه.. لا يكونن همّ المخالف الانتقام، وإنما الواجب الانقياد التام للحق إذا ما رفرفت عليه أعلام البرهان.

ومع ذلك – بحمد الله– عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل، ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حسنة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمة الله عليه وغفر الله له وجزاه بأحسن من عمله».

وقال أيضًا فيها: «والذي حدثنا به يحي بن سعيد ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه، فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره». وقال في خاتمتها: «وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقاءك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة» انظر «أعلام الموقعين» (3/ 96)

انظر – يرحمك الله تعالىٰ– إلىٰ هذه الرسالة وما اشتملت عليها من فوائد متمثلة في سعة علم هذا الإمام العلم، ولطف عبارته، وإنصافه، وخلقه الدمث، وتأدبه مع أقرانه، وكثرة دعاءه لإخوانه العلماء، وإرادة عموم النفع بالمخالف، مع الدعاء له.

إنه أنموذج صالح للاقتداء، وموقف يحتاج تدبر ونظر ثم اتباع، رحمهم الله تعالىٰ.

ما مات قوم إذا أبقوا لنا أدبًا ... وعلمًا ودينًا ولا بانوا ولا ذهبوا

حاشية "الجامع في الحثّ علىٰ حفظ العلم" لأبي هلال العسكري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن الجوزي ص(63).

(1) «شجرة المعارف...» للعز بن عبد السلام ص(185).

وصية:

إياك وأعراض الناس، فليكن شعارك التثبت
ودثارك الإخلاص، وبين يديك تقوى الله

فإذا كان القصاص حق، فعليك بالتؤدة في الحكم، والزم العدل في الاعتقاد والقول والفعل، واحذر الجنوح والظلم، فيوم القيامة يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، فكيف بالمكلف ؟! وإذا كان الانتصار لحقوق العباد، فكيف بحق رب العباد ﷻ ؟!

نعم «حقوق العباد مبناها علىٰ المشاحة، وحق ربّ العباد مبناه علىٰ المسامحة» والبحث في: هل أنت من أهلها؟

وصيّة:

لا توحيد إلا بالتوحيد،
ولا اجتماع إلا على السنة -بمفهومها العام-

دعوة صافية صادقة إلىٰ وجوب الاجتماع والائتلاف والتكاتف والتعاضد إلىٰ تحقيقه -ولا توحيد إلا بالتوحيد، كما لا اجتماع إلا علىٰ السنة- والتعاون في محاربة الفساد والمفسدين، سلامة للديانة وصيانة للبناية.

تأويلاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

وتحذيراً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة].

وتذكيراً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾ [هود].

الأمر الذي قد يكون معه شيء، لا سيما وفي مجتمعاتنا بقايا في خفايا الزوايا، يتأبطون شراً، فالواجب الأخذ علىٰ أيديهم بسوطي: الدليل ذي البرهان، وسوط السلطان ذي الإيلام، جبراً وزجرا، وربما كان أحدهما أبلغ من الآخر في موطنه، وأشد في موقعه.

ولله در القائل: **الدين بالسلطان يقوىٰ، والسلطان بالدين يبقىٰ، وصلاح الحاكم والمحكوم بتحقيق التقوىٰ.**

وصيّة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

كن أخي علىٰ يقين بالنصر والظفر والغلبة، ثق بوعد الكريم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ٥١﴾ [غافر] وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة].

وقول رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا

يضرهم من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة»[1].

وقوله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتىٰ يعبد الله تعالىٰ وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[2].

وعليه.. فالباطل مدحور مخذول، وأهله في صغار وعار وشنار، ومآلهم إلىٰ فرار -في الدنيا إن لم يتوبوا- أو نار - في الآخرة إلا أن يشاء الله-.

وفي ذلك يقول العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومن رام أن ينصر باطلاً، أو يدفع حقًّا فهو مركوس، من غير فرق بين رئيس ومرؤوس** [وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل]»[3].

وصيّة:

«**طلب العلم لا يعدله شيء؛ لمن حسنت نيته**» الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

أقول: طالب العلم ليس له غرام بتكفير الناس بما لم يقصدوه ولم يلتزموه، أو إيذائهم بنظره فضلاً عن لفظه، **إنما** مرامه الصلاح، ومراده الإصلاح، وبغيته

(1) «صحيح الجامع» للعلامة الألباني برقم(702)

(2) «صحيح الجامع» للعلامة الألباني برقم(2831).

(3) «أدب الطلب ومنتهىٰ الأرب» ص(250).

السلامة من الدنيا بالتمسك بالديانة وشيوع الخيرات لعموم النسمات، وقد تقدمت البراهين وأقوال الأساطِين في بيان ذلك الأمر العظيم، بقول مبين.

فيا أخي: عليك بالعلم، إذ فيه العصمة إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ من مَرَضَيِ الشُّبُهات والشَّهَوات، أصلا الفتن.

فعن حذيفة رضي الله عنه: «لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل»(1).

فجدّ واجتهد.. واسعىٰ واستعن.. واسلم واستغن في (وبِـ) تحصيل العلم مع أهله من أهله الراسخين، تكن كذلك، وتكفىٰ ما كفوا، والله تعالىٰ الموفق، وهو سبحانه العاصم.

وأرجو أن تكون قد علمت أن معاملة المخطئ بالشرع نصرة له، وإن معاملته بالعاطفة خذلان، والتزمت.

أيا أخي: قد دعوتك، وبكل ما أملك من حب وجهد نصحتك، وحق **النصيحة أن تستمع، فـ «من دعاك إلىٰ مولاك فأجبه، سواء كان الداعي صغيراً أو كبيراً؛ لأنك إنما تحب مولاك»**(2).

(1) «الفتح» (13/ 49).

(2) قاله العز بن عبد السلام رحمه الله في «شجرة المعارف...» ص(186-185).

هذا والله تعالىٰ المسؤول أن ينعم علينا بالعافية، حكاماً ومحكومين، وأن يمتعنا ما حيينا بالسنة، ويقينا وإخواننا المسلمين شر الشرك والبدع أجمعين.

وصلي اللهم وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ إخوانه وآله أجمعين

والحمد لله رب العالمين

كتبه:

الراجي رحمة ربه

أبو عبد الله

محمد بن عبد الحميد بن محمد حسونة

في: 24/ 7/ 1428هـ الموافق 7/ 8/ 2007م

فهرس